بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 35 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:14\03\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

كان البحث المتبقي من الآية التاسعة هو أن هذه المقولة ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾ هل هي مقولة قولية صدرت من هؤلاء الأبرار عندما أطعموا اليتيم والأسير والمسكين أم أن هذا هو لسان حالهم؟

هناك اختلاف بين المفسرين في ذلك، في تحقيق هذا المطلب:

تارة يختار المفسر أن هذه الآية المباركة وما يرتبط بها لا علاقة لها بواقع خارجي، كما يظهر من مثل الفخر في الرازي، وإنما تتكلم عن قاعدة عامة، فلا محالة ينبغي حينئذ أن نقول إن هذه المقولة ليس من الضروري أن تكون مقولة لسانية؛ لأن الآيات حينئذ بصدد إعطاء صفات للأبرار، فالأضرار هم أولئك الطائفة من الناس الذين يطعمون لوجه الله، والذي له دخالة للاندراج تحت سلك الأبرار ليس مجرد القول، بل أن يكون واقع الأمر هكذا.

فحينئذ الأنسب أن نقول إن هذه المقولة مقولة حكاية عن واقع هؤلاء الأبرار. فيتكون الآية الشريفة لا ربط لها بواقع خارجي، ولا شأن نزول لها، فالبار هو الإنسان الذي يتصدق لوجه الله تبارك وتعالى، أعلن عن ذلك في الخارج أم لم يعلن عن ذلك.

وتارة يختار المفسر في هذه الآية المباركة، أن هذه الآية وما يرتبط بها في واقعة مخصوصة ومختصة بها، فهي تحكي عن قضية خارجية شخصية. فحينئذ باعتبار هذه الحكاية يكون الظاهر من الآية أن هذا قول لساني، عندما أطعموا اليتيم والمسكين والأسير قالوا لهم ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾. وهذا هو الظاهر، أي نستظهر من اللفظ أنهم قالوا كذا وكذا.

وتارة ثالثة، وهو القول الثالث وهو الصحيح، أن هذه الآية المباركة يرتبط بها لها شأن نزول، ولكنها لا تختص به، بل تجري كما يجري الشمس والقمر. فحينئذ يكون الأمر عاماً طُبق على مصداق في الخارج.

نظير آية النجوى، ففي آية النجوى الشارع المقدس طلب من الناس أنهم إذا كان لديهم حديث سري مع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عليهم قبل هذه المحادثة السرية أن يأخذوا موعداً خاصاً وأن يقدموا صدقة، وهذا الخطاب وهذا التكليف الشرعي كان لمن للعموم، غاية الأمر لم يطبقه إلا علي أبي طالب عليه السلام، وهذا لا يعني أن الآية بلحاظ مفهومها هي خاصة به.

ما نحن فيه من هذا القبيل، ولذا سابقاً أخذنا على مثل الفخر الرازي، أن الذي يقول إن شأن نزول هذه الآية هو أصحاب الكساء عليهم السلام لا يريد أن يدعي أنها خاصة بأصحاب الكساء عليهم السلام، وأنه لا تدل على حكم على مر الزمن، بل الأبرار فئة من الناس يلتزمون ويوفون بعقودهم ونذورهم والتزاماتهم مع ربهم تبارك وتعالى، ويظهرون هذه العبودية لله من خلال الرحمة والشفقة على خلقه، فيطعمون اليتيم والأسير وما شابه ذلك. غاية الأمر أن هذه الآية مصداقها الأبرز هم أصحاب الكساء عليهم السلام.

فبلحاظ هذا المعنى تتناسب الآية الشريفة مع حكاية واقع، واقع هؤلاء الأبرار والذي انطبق على أهل البيت عليهم السلام أنهم يطعمون لوجه الله، سواء من انطبق عليه هذا العنوان في القصة الثابتة قالوا ذلك بلسانهم خارجاً أم لا، ليس من الضروري أن يكونوا بعين هذه الألفاظ، أي عندما طرق اليتيم الباب أعطوه أقراص الشعير وأوقفوه وقالوا له ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ ليس من الضروري ذلك، قد يكون هذا القول من خلال أفعال لهم.

كما نلاحظ بعض الصالحين إذا تصدقوا بصدقة أو أعطوا عطية، فدعا لهم المتصدق عليه، فلكي لا يكون هذا الدعاء شكوراً يدعون لهم، لتكون الصدقة خالصة لوجهه تبارك وتعالى.

فنستطيع أن نقول إن مثل هؤلاء يتصدقون ويقولون إنما نتصدق لوجه الله. إذاً ليس من الضروري أن يكون هذا القول بعينه صدر منهم، هذا هو واقعهم، هذا الواقع وهذه هي نيتهم، هذا الواقع وهذه النية ينعكس خارجاً على جوارحهم وعلى عملهم.

الآية العاشرة: ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

واضح الارتباط السياقي، إذ ما زلنا في سياق واحد، هؤلاء الأبرار الذين يطعمون، يقولون بلسانهم أو بنيتهم أو بأعمالهم، ويصدر منهم الإطعام والتصدق مع ملاحظة أمرين:

الأمر الأول: ﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾.

الأمر الثاني: ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

ففي الواقع هذه الآية الشريفة، والتي قبلها، تريد أن تبين أن العمل الذي يصنف خارجاً ضمن أعمال البر الذي يصدق عليه عنوان الإحسان. هذا تختلف أغراضه، الإعطاء مع قطع النظر عما يجول في داخل الإنسان عند الإعطاء، فالعرف يقولون عنه إحسان وعمل بر وخير.

لكن في قياس رب العالمين يختلف الأمر ﴿وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1] و(إنما الأعمال بالنيات)[2] هذا العمل الذي في حد ذاته مع قطع النظر عما يجول في داخل الإنسان، هو بر وإحسان وعمل خير الأغراض منه مختلفة.

هناك من يقوم به، ويكون غرضه متمحضاً في القابل، يمر على فقير فيحزنه ما به فأعطاه، فتمام غرضه هذا الفقير، من يقوم بالعمل لأجل ذلك هذا يكشف على أن هذا المتصدق يتحلى بمقام الإنسانية، يشعر مع الغير، ومع ذلك يصدق على عمله عمل بره وعمل إحسان.

وهناك شخص آخر يعطي لأجل أن يمدح ويشكر، ولأجل أن يأخذ المقابل من الناس، عمله عمل خير.

هناك صنف ثالث يعطي ويكون عطاؤه متمحضاً لأغراض أخروية لا ترتبط بهذا العالم.

صنف رابع يعطي ويخلط بين الأغراض الأخروية والأغراض الدنيوية التي أشرت إلى بعضها، هذا الرابع هو الذي يسمى بالشرك، يعطي ويقصد أنه يريد مقاماً في الآخرة، لكن يريد الناس أن يرونه ويمدحونه على ذلك. هذا مرتبة من مراتب الشرك. فالشرك كالإيمان له مراتب.

---

[1] الزمر: 47

[2] دعائم الإسلام، ج1، ص: 4.

الآيات الشريفة أكدت على أن مثل هذه الأمور لا تنفع العبد في يوم القيامة، من قبيل قوله تبارك وتعالى عندما يتحدث عن الربا يأتي في ذيل آية: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُريدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُون﴾[3] ليس الربا هو الذي يزيد في الأموال ويضاعفها، وإنما الذي يضاعف ذلك هو الإنفاق والإعطاء لوجه الله، ما كان لله ينمو ويتضاعف. أو في قوله تعالى: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذى كَالَّذي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النَّاس﴾[4]

إذاً من بين هذه الأصناف، فالصنف الأول له مرتبة عند الله ﴿أَنِّي لا أُضيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُم﴾[5] لكن هذه المرتبة قد تكون في هذه الدنيا؛ لأنه فيه نوع من الإنسانية.

أما تحصيل المقامات الأخروية فيحتاج إلى نية الإخلاص بأنواعها وبمراتبها، فهؤلاء الأبرار يطعمون لوجه الله، وفي الوقت نفسه يريدون أن يكون عملهم هذا شفيعاً لهم في يوم القيامة للخلاص من عذاب الله سبحانه وتعالى. فالآية السابقة نطعمكم لوجه الله، وهذه الآية نطعمكم للخلاص من عذاب الله سبحانه وتعالى. فاجتمعت الأغراض الإلهية.

هذا هو المعنى الإجمالي والسياقي لهذه الآية، يبقى هناك تفصيلات في بعض المفردات نتعرض لها في الدرس القادم.

---

[3] الروم: 39
[4] البقرة: 264
[5] آل عمران: 195